المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 24-03-2007 العـــدد : 2367
الصفحـات : 22 المسلسل : 156

قمة مختلفة ومبادرة واقعية

لم تكن القمم العربية السابقة مبعثاً للتفاؤل عند الشعوب العربية بسبب أن تلك القمم لم تحقق شيئاً يلامس آمال الشعوب، أو يحسن من حياتها المعيشية. والسبب أن إصلاح نظام عربي يجب أن يسبقه إصلاح على المستوى المحلي الداخلي في الدول العربية فمنذ عام 1964م إلى آخر قمة قبل هذه القمة لم تخرج نتائج ملموسة للشارع العربي، وإن خرجت أي نتائج فهي نتائج بالكاد تطبق في المجالات الخارجية مثل التمويل والدعم، ولكنها مجرد توصيات لا يلتزم بها من قبل أفراد الجسم العربي، لذلك عرفت القمم العربية المتعددة في السابق على أنها تهدئة أوضاع، أو علاج أعراض خارجية في الجسد العربي ولا أكثر، وعرفنا العرب وكل منهم مشغول بإصلاح غيره لا إصلاح نفسه، وهذا الانشغال بالغير ونسيان الداخل المكبوت كان سمة كل السياسات المحلية في العالم العربي.

الصورة العربية اليوم مختلفة، والعرب غير العرب قبل ربع قرن بفعل التحولات الاقتصادية، والاجتماعية السريعة في المنطقة، وبسبب انفتاح الاتصال مع العالم الذي حدد الصورة للمخدوعين بالشعارات، وبسبب، إحداثيات واضحة على أرض الواقع في العلاقات العربية الإسرائيلية، والعلاقات العربية العالمية، لكل هذا فالعقل العربي اليوم يرى القمة بعيون أخرى، ويتوقع من القمة العربية في الرياض أن تسلك طريقاً عملياً محدداً لا طريق شعارات، ومجاملات، خصوصا أن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين عملت دبلوماسيا ولسنوات لكي تحقق هذه القمة شيئاً ملموساً للشعوب العربية في أمنها، واستقرارها عن طريق وضع خطط عبر الجامعة العربية تساعد هذه الدول، وتفعل دور الجامعة العربية في التنسيق والتنظيم بين شتات الدول العربية المتنافرة بسبب الشعارات.

التعامل مع كل هذا يفترض ألا ترفع التطلعات عند الشعوب العربية بإعلام تعبوي، وألا تكون الوعود كريمة بنتائج سريعة من قرارات القمة، مع تبني الشفافية والعقلانية في التصريحات المنسوبة للزعماء، وعدم الزج بخلافات وجهات النظر العادية لتكون سببا لمزيد من الهرج والمرج.

المملكة العربية السعودية خططت لنجاح القمة العربية، ودعت إليها، وهي تعرف أن هذه القمة تعقد في ظروف دولية معقدة، لكنها رغم تعقيدها مثالية لنتائج مرضية، إيجابية تدعم نجاح العمل العربي في القضايا المصيرية، على سبيل المثال هناك تفهم وقبول عالمي للمساهمة في حل القضية الفلسطينية، كما أن القمة تتخذ من مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز المعروفة بالمبادرة العربية للسلام، خطوات واضحة للحل العملي، خصوصا أن في بنود المبادرة العربية ما يحقق التعايش السلمي بين العرب، وإسرائيل، في حال جنحت إسرائيل للسلم والتعايش، واقتنعت بأن الغطرسة العسكرية لا تؤدي إلى شيء، والمؤشرات تدل على أن في إسرائيل أصواتاً تتفهم هذا الاتجاه، ويبقى منهجا واضحا للتطبيق بضمانات الثقة بين الطرفين، وبقدرة الدبلوماسية العربية على زرع هذه الثقة.

المبادرة العربية أيضا مقبولة من الولايات المتحدة الأمريكية الملتزمة أخلاقيا بحماية إسرائيل، وهي تجد فيها حلا مناسبا قد يخفف العبء عن كاهلها وقد يخفف من ثقل وجودها المكلف ماديا في المنطقة العربية، وربما خلق إمكانية خروج سهل من جيوشها في العراق، مع بقائها بشكل رمزي في المنطقة لإدارة مصالحها.

في المقابل تنقسم الدول العربية حول المبادرة إلى جبهتين، الجبهة الأولى نعرفها، وهي سترفض كل شيء كما هي العادة خلال النصف قرن الماضي، رافعة الشعارات العاطفية المهيجة بلا جدوى، والتي ملها العرب، وقد تحضر تلك الأطراف وتعود ممجدة إعلاميا بعد رفض، أو تحفظ الرئيس ليس رسميا، ولكن عن طريق التسريبات الصحفية.

الجبهة العربية الثانية، وهي المهمة، وهي جبهة الاعتدال العربية التي تجد في المبادرة فرصة لكسر حالة الجمود العربي الراهن الذي حول الدول العربية إلى أنموذج للتخلف التنموي، والسياسي، و خلق الإحباط الشعبي الذي انعكس بكل سلبياته على الشارع العربي، بكل ما نقرأه ونسمعه من تخلخل أمني ،وعنف، وإرهاب، وأخيرا نعرات مذهبية وطائفية، وقبلية، وميليشيات متسلطة تحكم بقانونها الخاص داخل الدول العربية، وهي تجد في جمود القضية الفلسطينية، والتخلف التنموي العربي فرصة لبقائها، ومبرراً لخطاباتها، وشعاراتها العاطفية، التي لا تمت إلى مفهوم الدولة الحديثة بصلة.

مع كل الإيجابيات التي تدعم نجاح القمة هذه المرة وتفاؤلنا الكبير بالخروج بقرارات وليس مجرد توصيات يبقى سؤال حول سبب تبني

"المبادرة العربية التي تمنينا أن نرى النور قبل هذا اليوم هي ما سوف يسد باب الذرائع في القضية الفلسطينية، وينهي مبرر الأزمات العربية العربية، والعربية العالمية..."

القمة للمبادرة العربية، وما هو الذي تغير في الحال العربي لكي يعود العرب لهذه المبادرة التي قدمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز قبل خمس سنوات، وحسبنا أنها نسيت في أدراج الدبلوماسية العربية البطيئة.

الواقع يقول إن العرب يعودون إلى هذه المبادرة العملية الواضحة بعد سلوك الطريق الأطول في التعامل مع القضية الفلسطينية، وقد يتقنون عليها، أو يتحفظون لكنها بماميتها المبادرة العربية الوحيدة الممكنة التنفيذ للسلام في المنطقة بعد ما يزيد على نصف قرن من المحاولة والخطأ ثم العودة إلى نقطة البداية بمزيد من الهزائم العربية التي تعطي الذرائع للدول الأجنبية المبرر للولوج لحل المشاكل العربية بفهم بائس يؤدي لتعقيدات القضايا كما حدث في العراق.

نفس الهزائم هي التي جعلت حالة الحرب قائمة فلا يتفرغ الزعماء لتنمية بلدانهم بذريعة الصرف على الحرب، فوصلت الشعوب العربية إلى ما وصلت إليه من حالة اليأس والاكتئاب، لأن الهزائم لم تؤد إلى إنهاء المشكلات، وتحسين الوضع الشعبي بل قادت إلى مزيد من الحروب، وفجرت مبررات الإرهاب، وكلنا ما يعرف بدائرة الشر التي لا تنتهي.

لقد بقيت المبادرة العربية للسلام، التي قدمها الملك عبدالله بن عبدالعزيز في لبنان في عام 2002م هي الحل العملي المنتظر لبدء مرحلة السلام، وكما أوردت في المقال يرى معي كثير من المحللين أنها الفرصة

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 24-03-2007 العـــدد : 2367
الصفحـات : 22 المسلسل : 156

محمد العثيم*

المواتية لأن أمريكا منهكة في الشرق الأوسط وتبحث عن صورة أخرى لها في المنطقة حتى لو ضغطت على الدولة العبرية لأن أمريكا تريد تبني حل مهما كان في هذه الظروف حتى لا تعود بجيوشها للوطن دون مبرر لوجودها الكثيف في الشرق الأوسط، فإذا عاد الأمريكان إلى وطنهم سيقولون إنهم أنجزوا شيئا من السلام لأمن إسرائيل، وسيقتنع الشارع الأمريكي بجدوى الغزو.

المهم من كل هذا أن القمة، والمبادرة تأتيان في وقت مناسب يحسن استغلاله، فإسرائيل محرجة في الداخل بهزائم جيشها وفساد السلطة الإدارية، والبدء في عملية سلام مهما كانت النوايا الإسرائيلية هو حل لامتصاص حالة تأزم الداخل الإسرائيلي، فهي مخرج إسرائيل في رفع التطلع للمواطن الإسرائيلي لأنها تحقق مطالب الشارع في الوجود بسلام في المنطقة.

أما موافقة التوقيت في الجانب الفلسطيني، فإن القمة، والمبادرة تأتيان في حالة صفاء فلسطيني بعد اتفاق مكة المكرمة المدعوم دوليا، وتشكيل حكومة وفاق وطني جديدة في دولة فلسطين، والشعب الفلسطيني المتلزم معيشيا أكثر توقا للسلام والأمن من أي طرف في المعادلة السياسية، والمبادرة تعطي الفلسطينيين دولة كاملة السيادة مثلها مثل أي دولة في المنطقة، فالمعتدلون الفلسطينيون يقفون في صف أي اتفاق عربي حول المبادرة، لما هو في صالح الشعب الفلسطيني.

ومن عموم هذا الكلام السابق، فالمبادرة المعتدلة تنظر للقضية الفلسطينية على أنها أم القضايا في الشرق الأوسط، بل لعل جميع المشكلات تتمحور حول مبررها، وكانت المشكلة فوضى التعامل العربي مع الصراع العربي الإسرائيلي والأخطاء الأمريكية التي تورطت في قضايا جديدة ما كانت لتثار لولا سوء قراءة الواقع العربي من قبل أمريكا خطأ، فالعقل الأمريكي يقيس بمسطرة ماثلة في معظم الأحيان، وهو يقدم أمن إسرائيل على أنه أمن الولايات المتحدة، لذلك فإن المحافظين الأمريكيين الذين يعانون أزمة نفسية موروثة من أيام الحرب العالمية الأولى عندما كانوا شباباً في جيوش الحلفاء تبنوا فكرة الغطرسة لمقابلة الغطرسة الألمانية، وتبنوا مفهوما قديما معناه " الاحتلال يغير الأحوال"، وتصرفوا منذ الخمسينيات مع إسرائيل بمنطق المحارب جنباً إلى جنب لضمان بقاء إسرائيل إزاء العدو العربي المفترض ودرء التهديد العربي عنها.

المبادرة العربية التي تمنينا أن ترى النور قبل هذا اليوم هي ما سوف يسد باب الذرائع في القضية الفلسطينية، وينهي مبرر الأزمات العربية العربية، والعربية العالمية، وكل أسباب الدعم لهذه المبادرة متوفرة الآن أولا هناك رأي دولي مساند لحل القضية الفلسطينية، لتأمين المناطق المقدسة، و بات الكلام غربيا يدور حول الغطرسة الإسرائيلية، والقتل العشوائي بدون مبرر، ثم ردود الفعل الفلسطينية المقابلة لهذا العنف وكل هذه الحلقة المفرغة من العنف والعنف المضاد التي استمرت لسنوات.

خلاصة القول أن خادم الحرمين بذل كل الجهد لإنجاح القمة، وبقي أن تقوم الأطراف الأخرى بتبني نية صادقة للبحث عن حل للأزمات العربية المتناقصة من القضية الفلسطينية المعقدة.

---

* كاتب سعودي
alqulam@alwatan.com.sa